[37] الامير ؟ فقال: غدرتم يا أهل العراق. قال: فرفع عبيد ا سيفه ليضربه (1)، فبدره مصعب بالسيف على البيضة، فنشب فيها، فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة. قال: فجاء غلام لعبيد ا [بن زياد] بن ظبيان، فضرب مصعبا بالسيف فقتله، ثم جاء عبيد ا برأسه إلى عبد الملك، يدعي أنه قتله، فطرح رأسه وقال: نطيع ملوك الارض ما أقسطوا لنا (2) * وليس علينا قتلهم بمحرم قال: فوقع عبد الملك ساجدا، فتحامل عبيد ا على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف (3). فرفع عبد الملك رأسه وقال: وا يا عبيد ا لولا منتك لالحقتك سريعا به. قال: فبايعه الناس، ودخل الكوفة فبايعه أهلها. ذكر حرب ابن الزبير وقتله قال: وذكروا أنه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق، وأتاه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيت في المنام كأني أسلخ عبد ا بن الزبير، فقال له عبد الملك: أنت له فاخرج إليه (4)، فخرج إليه الحجاج في ألف وخمس مئة رجل (5) من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف، _____

(1) وكان عبيد ا بن زياد بن ظبيان سيد ربيعة وبكر بن وائل، وكان له أخ اسمه النابئ بن زياد قتله مصعب. وكان عبيد ا مع مصعب، وكان يتحين الفرص للانحياز إلى عبد الملك، ولما رأى الفرصة المناسبة انحاز بقومه إلى عبد الملك وقاتلوا معه. (2) في مروج الذهب 3 / 129: نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا. (3) وكان عبيد ا يقول بعد ذلك: ما ندمت على شئ قط ندمي على عبد الملك بن مروان إذ أتيته برأس مصعب فخر ساجدا أن لا أكون ضربت عنقه فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد. (4) في تولية الحجاج حرب عبد ا بن الزبير قرار اتخذه عبد الملك لم يكن كما ذكر بسبب منام رآه الحجاج فإننا نرى أن الامر يتجاوز ذلك وأن هناك أسبابا جوهرية حتمت على عبد الملك اتخاذ هذا القرار منها: - أن عبد الملك انتدب الناس لقتال ابن الزبير - بعد مقتل مصعب - فأقصر الناس عن ذلك ولم يجبه أحد. ولعل فيما أورده الدينوري ما يجيب على ذلك: فإنه انتدب قدامة بن مظعون ثم عزله فورا، وانتدب الحجاج وهذا يدل على عدم ثقته بالعساكر المنتدبة وبابن مظعون نفسه. - المهارة التي أظهرها الحجاج في قيادة مؤخرة الجيش في معارك العراق. - تلهف الحجاج لقتال ابن الزبير ربما للثأر لمقتل والده، وقد قيل إنه قتل في الربذة في معركة بين جنود ابن الزبير والحملة التي أرسلها عبد الملك سنة 65. حتى أنه أقسم ألا يقرب الطيب ولا النساء إلا إذا قتل ابن الزبير. (5) في اليعقوبي: 20 ألفا، وقيل في ستة آلاف، وفي ابن الاثير: ألفين، وقيل ثلاثة آلاف. (*) _____